

أمثال القرآن

[304] رغم أن الروايات حكّت سعة باب التوبة وأنه باب يدخله المذنبون والعاصون والمجرمون إلاّ أن هذا الباب يُغلق في ثلاثة أزمنة: الف: التوبة عند نزول البلاء إذا تاب الانسان عند تورطه بشوكة البلاء فلا تُقبل توبته. ولهذا يقول الله في الآية 65 من سورة العنكبوت: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ لَكَ دَعْوَاةٌ مِّنْ مُّخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا سَاوَوْا بِلَاهُتِهِمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ). أي أنهم يتوبون ويدعون الله عندما يبتلون بأفواج البحر وعندما يشعرون بتهديد وتحديّ الموت، وتوبتهم هنا مرفوضة؛ لأنها نشأت عن اضطرار، وهي من قبيل إعلان شخص عن توبته واستغفاره تحت ضربات السوط، فإن توبة من هذا القبيل غير مقبولة. هؤلاء المشركون الذين أعلنوا عن توبتهم واستغفارهم ودعوا الله في طرف الخوف الذي عاشوه في السفينة، وعندما يهدأ البحر أو ترسو السفينة قرب اليابسة ينسون الله تارة أخرى ويعودون إلى شركهم. إذن، لا تُقبل توبة كهذه؛ لأن التوبة هي التي يتغيّر معها منهج حياة الانسان، وهذه التوبة لم تغيّر من منهج المشركين ولا سلوكهم شيئاً. التوبة التي تحصل في الزنانة وتُنسى بعد الخروج منها، أو التي تحصل عند المرض وتُنسى بعد الشفاء، أو التي تحصل في خضم الحوادث وتُنسى بعدها، هذه كلها توبات غير مقبولة؛ لأنها ردود فعل مؤقتة تحصل إثر جلد الحوادث الإلهية وصفعاتها. باء: توبة المذنبين عند الموت عندما يسمع الانسان صفعة الأجل وتفتح عينيه نحو البرزخ ويتبلور عنده اليقين بالموت والوداع مع الدنيا فلا تقبل منه توبة، وقد قال الله تعالى في الآية 18 من سورة النساء: (وَلَا يَسْتَتِرُونَ لِلَّذِينَ يَكْفُرُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبِيتُ الْآنَ وَالَا الَّذِينَ يَمْوَتُونَ وَهُمْ كَغُفَّارٍ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا). وفرعون من زمرة هؤلاء، فأنّّه عندما شاهد شوكة الموت ووجد نفسه على عتبة الغرق